صارى أنطوانيت

كيـــد النســـاء

obeikan.com

obeikan.com

مارى أنطوانيت

عاش لويس الصغير في قصر جده لويس الخامس عشر بجناحه الخاص يقرأ في الأدب والفن والعلوم وأمور الدين ، ويسبح في خيالاته لا دخل له بما يحدث في القصر ، لا يعرف عن عالم النساء والملذات شيئا ، ولم يهتم في يوم من الأيام بما يدور حوله في ذلك القصر الكبير ، ولم يدر حتى بخلده أن يستدعيه جده يوما ليخبره بأنه تم اختيار إحدى النساء لتكون زوجته حتى فوجئ بتحديد اليوم الذي سيصبح فيه زوجا لفتاة اختارها له جده الملك ، وكانت العروس هي (مارى إنطوانيت) ابنة الإمبراطورة ماريا تريزة إمبراطورة النمسا ، وأنها في الطريق من فيينا إلى باريس .

في الوقت الذي انتابت فيه الحيرة ذلك الصبى الذي لا يعرف شيئا عن عالم النساء ولا علاقة له بكل الملذات والذى نزل الخبر على رأسه كالصاعقة جعله في دوامة لا يدرى كيف يخرج منها .

فهو لا يعرف شيئا عن الزواج ولا يدرى فيم يسأل معلميه ورجال الدين الموجودين حوله ، وانتظر الواقع وهو يدور في دوامته ، بينما الأميرة الجميلة تحمل أحلاما بالملك والمجد الذي عاشته والدتها وموت لويس الخامس عشر الذي سيجعل منها إمبراطورة فرنسا ولم تنس حياتها الخاصة مع ذلك الرجل الذي سيجعل منها هذه الإمبراطورة رغم أنها لم تتجاوز مثله الخامسة عشر .

أخذت تحلم بالحب الذي سيمنحه لها الشعب الفرنسى ، كانت تحلم بلحظات اللقاء الأولى حين يمسك ذلك الكاردينال الشاب بيدها ويقول لها:

- ستكونين أيتها الأميرة بيننا صورة حية لأمك الإمبراطورة المحبوبة .

ودارت في رأسها كلمات أمها وهي تودعها "كوني زوجة طيبة وأميرة محبوبة من الشعب ، لأن كراهية الشعوب هي سبيل الانهيار دائما".

أمضت مارى أنطوانيت طريقها كله في أحلامها وحين وصلت إلى باريس وجدتها قد ازدانت لاستقبالها ، وأنفق على هذه الزينات عشرين مليونا من ا لفرنكات في أول ليلة من الاحتفال ، وحين جاء الليل كانت كل ذرة فيها تنتظر اللحظة التي ستكون فيها بين أحضان زوجها دون وصيفات ورجال حاشية ، وقبل الانصراف تقدم العروسان لطبع قبتلتين على جبين الملك لويس الخامس عشر جد العريس ثم انتحيا لتقبل التهانى من المدعوين قبل أن يصحبهما الوصيفات إلى المخدع الملكى ، ثم انسحبن في هدوء بعد ذلك ليتركانهما معا .

كانت مارى أنطوانيت متدفقة الأنوثة رائعة الجمال في تلك اللحظات كانت كل ذرة في جسدها تنتفض ، حين اقترب منها زوجها أغمضت عينيها ، وانفجرت الدماء في شفتيها في انتظار القبلة التي سيطبعها على شفتيها زوجها ليضمها بعدها إلى صدره وأخذ صدرها يهتز بعنف واقترب منها لويس وأخذت أنفاسها تتسارع وهي تشم رائحة أنفاسه تقترب منها لكنه طبع قبلة باردة على جبهتها وهو يمسك يديها الصغيرتين ليأخذها ويجلسان على مقعد بالغرفة ، وانتظرت أن يسمعها بعض الكلمات الجميلة التي يعبر فيها عن شوقه لها وهيامه بها ، لكن ذلك أيضا لم يحدث ثم انسحب في هدوء إلى جناحه الخاص ليتركها تلقى بجسدها الملتهب على السرير تبلله بدمعها .

مع كل ليلة من ليالى الاحتفال كان يتكرر نفس المشهد حتى انتهى اليوم الخامس عشر من الاحتفال وأطلقت في هذه الليلة الألعاب النارية التي كانت تتابعها مارى من نافذتها المطلة على الميدان وأفاقت على الصراخ والصخب وهي ترى النصب المعلقة عليها المشاعل تندلع

النيران فيها .

كانت تراقب الأحداث من نافذتها وترى المنكوبين الذين يتساقطون مختنقين من النيران والدخان ورأت أن ذلك نذير شؤم لها ولحياتها الزوجية التي لم تبدأ بعد .

لم تعرف مارى من الزواج إلا تلك القبلة التي يطبعها لويس على جبهتها في نفس المكان الذي لم يغيره وشعرت أن آمالها تنهار .

ويتكرر نذير شؤم آخر حيث ينصب زوجها ملكا لفرنسا وبعد ساعة واحدة ينتشر الطاعون في باريس ليهربا تاركين جثة الملك ثم يعودا فيأخذوه إلى سان دنيس .

لم يقتصر الأمر على الملكة التي تزوجت شفاهة بل أن الوصيفة النمساوية التي أتت مع الملكة والتى كانت تعلم كل شئ تحدثت إلى شقيق الإمبراطورة والدتها (خال الملكة) ليحادث الملك ويذكره بواجباته الزوجية وتحدث معه بصراحة فيما يجب أن يفعله .

كانت مارى أنطوانيت قوية الشخصية لذا سيطرت على الملك من اللحظة الأولى وساعدتها هذه الظروف أيضا على ذلك حتى أصبح الملك فردا من حاشيتها لتنفرد هي بحكم فرنسا ، لقد كانت مارى أنطوانيت تحلم بحكم فرنسا ردا على ما كان يدور برأس لويس الخامس عشر من أن يجعل من النمسا حليفة لفرنسا ولهذا اختارها زوجة لحفيده .

أحبها الشعب الفرنسى لجمالها ورقتها وذكائها النادر مما أثار عليها حسادها وفى مقدمتهم عمة لويس مدام دى بارى خليلة الملك لويس الخامس عشر وغيرها ، فرض يمكن المؤامرات والدسائس لها وساعدتهن هي بتصرفاتها الطائشة وهدم خبرتها ودفعها أيضا ظمأ جسدها الذي لم يطفئه زوجها لويس وانتشرت الشائعات في القصر وخارجه .

كانت تقيم الاحتفالات الصاخبة العامرة بالخمر والرقص والفجور وبعد انتهاء الحفل في تلك الليلة ذهبت إلى غرفتها لترتمى على سريرها تتمنى أن ترى (روجيه) ذلك الضابط الشاب ذى التسعة عشر ربيعا المليء بالفتوة والعنفوان والذى التقته في إحدى رحلات الصيد وكانت قد أخبرته أن يأتى إليها عن طريق باب سرى تحرسه وصيفتها ، وكانت ليلة صاخبة ولم يستمر الأمر طويلا في الضحك والمتعة فقد دخل عليها الملك (زوجها) .

نظرات ذاهلة من الجميع وأقدام لا تحمل أصحابها ، تضرع من العاشقين ودوامة تدور برأس الملك وهو يرى كبرياءه ينهار مع قلبه المفعم بالحب للملكة ولعجزه عن إمتاعها ، واستدار وهرع إلى حجرته وأغلق الباب خلفه وأخذ يبكى بصوت مسموع ، فقد أدرك وقتها أن الحب الكبير الذي منحه لها وملك فرنسا التي أصبحت هي الحاكمة لها يمكن أن يعوضها عن هذه اللحظات .

شجع ذلك الملكة أن تعود إلى ما كانت عليه لتنال ما تريد من المتعة وتواصل الاستمتاع مع الضابط الشاب الذي أخذت تهدئ من روعه وتطمئنه .

لم يصدق الفتى أن الملك من الممكن أن يعفو عنه ورغم كل المغريات آثر أن يختفى بعيدا ولا يقترب من القصر لمدة شهر حتى صدر الأمر بنقله إلى مكان آخر بعيد عن باريس ، لكن الملكة هرعت وراءه وأقامت ركنا صغيرا تلتقى فيه الضابط الشاب وكان يحرس ذلك الركن ضابط شاب اسمه (أرمان دى سان جرمان) وشاهد وسمع كل ما يحدث بين الملكة وعشيقها ، وبدأ هو الآخر يصرخ الذنب في أعصابه ويطمح إلى نيل المتعة من أنوثة الملكة متدفقة المشاعر ويبدو لها وأنه يكون في خدمتها حتى انتبهت إليه .

ذات يوم دب الخلاف بينها وبين عشيقها الضابط الشاب وكان جرمان قريبا من المكان وأدرك بذكائه أن لحظة دخوله إلى مخدع الملكة قد حانت فدخل إليها في خضوع ليسألها إن كانت تريد منه شيئا لكنها صرخت في وجهه بالخروج لكنها ما لبثت أن هدأت وأخذ مكان عشيقها في مخدعها بعد ذلك .

وعلم الملك بكل هذه الأمور لكنه لم يكن قادرا على مواجهة الأمر بنفسه لذا عهد به إلى واحد من أبرع رجال البلاط هو مدير المراسم الذي كان يحقد على الملكة التي صدته من قبل حين حاول اجتذابها إليه ، ودبر الأمر وفى إحدى اللحظات التي كان فيها أرمان يغادر مخدع الملكة وجد من حوله مجموعة من رجال الحرس الذين قادوه إلى الباستيل حيث أعدم بلا محاكمة ، وكان الضابط السابق له والذى وشى به قد لقى نفس المصير ولم تستطع مارى أنطوانيت أن تفعل شيئا سوى البكاء .

كانت أخبار الملكة الأجنبية هي حديث باريس وكانت الأخبار تدور حول استهتارها وتهتكها وانغماسها في اللذات ، بينما الشعب يلهث في سبيل الحصول على لقمة العيش وهي تقيم حفلات المجون والرقص ورحلات الصيد ووصلت أخبارها إلى أمها التي أرسلت لها مع سفير فرنسا بالنمسا أن يخبرها أنها ستفقد عرشها وقد تفقد حياتها إذا لم تفئ إلى رشدها .

كان الكاردينال دى روهان هو الذي استقبل الملكة في ستراسبورج حين أتت من فينا ، وقد سمعت ممن كن حولها أن الكاردينال الشاب يعيش في بذخ وترف وينفق أموالا طائلة في الحفلات والولائم لكنها لم تكن تعلم أن ذلك الكاردينال كان يعشقها وأنه كان يتابعها حتى بعد أن صارت ملكة وصار هو سفيرا في بلاط ماريا تريزا في النمسا التي كرهته لكثرة تجسسه عليها وأشركت ابنتها الملكة في كراهيته حتى أُعيد من

النمسا إلى باريس ، واستمر روهان في محاولة تقربه للوصول إلى الملكة ولم يكن الأمر رغبة في امتلاك قلب الملكة بل كان يريدها ليحصل عن طريقها على القصر حاكما لفرنسا كما كان من قبله الكردينال ريشيلو والكردينال مازران والكردينال فلورى ، ويبذل الوساطات لذلك .

كانت هذه الأطماع كفيلة لأن توقعه في شرك محتالة بارعة أوهمته بقدرتها على القيام بذلك هي الكونتيسة دى لاموت وطلبت منه أن يدع لها تدبير الأمور ، وأن يصنع ما تقوله له دون جدال ، وابتلع الكردينال الشاب الطامع في الحكم طعم الكونتيسة وأخذ يدفع لها من المال ما تطلبه منه كل يوم ويصدق الرسائل التى تأتى بها بتوقيع الملكة وعرفت كيف تقود إلى خلوه في حديقة القصر يلتقى فيها الملكة للحظات تعبر له فيها عن رضائها عنه ، وبالفعل لثم ثوبها وسمع صوتها وظن أنه بذلك سيصبح مثل من حكموا فرنسا قبله ولم يدر بخلد الكاردينال المغفل أن من اختلى بها ليست سوى فتاة شبيهة بالملكة دفعتها الكونتيسة لتمثل الدور بالقليل من المبالغ التي تنالها منه .

علمت الكونتيسة أن تاجرا للمجوهرات اسمه (بوهمر) كان قد صنع عقدا بقيمة أربعة وعشرين مليونا من الفرنكات أوصاه عليه الملك ومات قبل أن يشترى العقد وانطلق التاجر في محاولة لإقناع لويس السادس عشر لشراء العقد للملكة مارى أنطوانيت ، وكانت الكونتيسة تعرف أن الكاردينال على استعداد لتلبية أى طلب للملكة اعتقادا منه أنها قد وقعت في غرامة ، فذهبت إليه لتخبره أن الملكة ترغب في شراء العقد ولولا عجزها عن الحصول على ثمنه الكبير دفعة واحدة وأنها أرسلتها إليه وهي تأمل أن يشتريه نيابة عنها فيوقع على العقد ويدفع الثمن ثم يسترد الثمن على دفعات وصدق الكاردينال المغفل واشترى العقد وأرسله مع الرسول الذي أرسلته الكونتيسة التي استولت على العقد وأعدت العدة للفرار غير أن الشك راود الكردينال حين حضر

إحدى الحفلات في القصر ، ولم يجد الملكة تلبس العقد ثم ازداد شكه حين حل موعد سداد القسط الأول وأتته الكونتيسة تخبره أن يؤجل السداد بضعة شهور .

وبدأ الأمر يكتشف حين ذهب التاجر إلى القصر ليشكر الملكة على تنازلها بشراء العقد وقبوله ما عرضه الكاردينال من إرجاء دفع القسط الأول ، وهكذا عرفت الملكة بقصة احتيال الكونتيسة فانطلقت إلى الملك تطلعه على كل شئ وتطلب القبض على الكاردينال الذي اتهمته باستغلال اسمها وتزوير توقيعها وبالفعل ذهب إليه رجال البوليس للقبض عليه أثناء وجوده في الكنيسة وتم اقتياده بلبسه الكهنوتى إلى سجن الباستيل .

غضب الشعب لاعتقال الكاردينال واعتقد أن الأمر تم سبب كونه أحد عشاق الملكة وأنها خدعته لشراء العقد لها إرضاء لنزواتها ثم ألقت به في السجن ، وغضب كذلك رجال القصر ورجال الدين وتم تداول القضية أمام القضاء وطبعت المنشورات تتهم الملكة بتدبير تلك المؤامرة ورغم القبض على الكونتيسة إلا أنها ظلت تردد أن الملكة هي التي طلبت منها شراء العقد وأنها تسلمته ورغم أن القضاء أدان الكونتيسة وحكم عليها بالجلد والسجن مدى الحياة وبرأ الكردينال إلا أن الملك - بتحريض الملكة - أصدر الأمر للكاردينال بالاستقالة من منصبه والعيش في أملاكه خارج باريس ، وهو ما زاد غضب الشعب واستمرت الأمور في الغليان ولم تنتبه الملكة لذلك ولا لنصيحة أمها .

ودفع الجوع الشعب إلى ترتيل الأغنيات التي تحمل أسماء عشاق الملكة ومجونها وعبثها ويرددون الأشعار في فضائحها ولم تهتم الملكة لكل ذلك .

ازداد الفقر في فرنسا وانطلقت ثورة الجياع في باريس يتقدمها النساء يهتفن: خبز . . خبز . . وأخذ الشعب يصرخ:

- تسقط النمساوية الخائنة .

وبدأت الجماهير تتحرك داخل القصر وأمكن منعها من ذلك . وبدلا من أن تعدل الملكة سلوكها وتتقرب من الشعب لإنقاذه من الجوع والفقر ، استمرت في عدائها للشعب والرغبة في تحطيم ثورة الإصلاح ، ودبرت خطة للهروب من العاصمة إلى خارج البلاد ليهاجموا الشعب من جديد بمعاونة أخيها الإمبراطور ليوبولد وبعض ملوك أوروبا من عون حربى .

واستسلم الملك لزوجته وأعوانها بما فيهم عشيقها الكونت دى فرسين وأخذ الملك يرسل الكتب إلى الملوك والأمراء لنجدته ووقعت الرسائل في يد الشعب .

بعد فترة تم الهجوم على الملكين وقبض الشعب عليهما وأودعهما سجن التامبل ليقضى الملك أيامه نائما أو مشتغلا بالتدريس لأبنائه ، بينما تقضى الملكة وقتها في التطريز وتدبير مشروعات فرار باءت جميعها بالفشل .

وبعد فترة أعدم الملك ، وحاول الكونت دى فرسين تهريب الملكة ، وخطط كثيرا لذلك ، وكاد ينجح لولا أن كشف الوشاة أمره وكادوا يقتلونه به ، فهرب وتلقى بعد ذلك خاتما من الذهب مع رسول خاص ورسالة من مارى أنطوانيت تقول فيها " لم أشق بسجنى قدر ما فرحت بنجاتك وذلك ما يدعونى إلى أن أهديك هذه الهدية البسيطة التي أرجو أن تعجبك وأستحلفك أن تكتب إليه (كل شيء يقودنى إليك) واذكر دائما مارى التي أحبتك حتى الموت وتمت محاكمة مارى أنطوانيت وإعدامها وكان السبب فسادها الأخلاقى وحياتها المستمرة في خديعة كبرى لكل من حولها .

* * *